المبحث الرابع

الحالة العلمية فى عصر القاضى محمد بن يحيى

- اهتمام كبار الدولة بالحياة العلمية .
- طائفة من العلماء .
- من مؤلفات العصر .
- من علوم العصر .
- الموسوعية فى العلم .

obeikandl.com

obeikandl.com

الحالة العلمية فى عصر القاضى محمد بن يحيى

اتضح من الحديث عن الحالة السياسية فى عصر القاضى محمد بن يحيى المالقى مدى الاضطراب السياسى والصراع بين المسلمين ونصارى الأندلس ، ورغم هذا فإن الحياة العلمية كان لها كيانها ومكانتها فى بلاد الأندلس وبخاصة مدينة « مالقة » و «غرناطة» هاتان المدينتان اللتان عاش فيهما القاضى محمد بن يحيى، وتولى منصب القضاء فيهما.

اهتمام كبار الدولة بالحياة العلمية:

كان الاهتمام بالناحية العلمية أمرًا ملموسًا من جانب كبار ورجالات الدولة كالسلطان نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر ت ٧٢٢ هـ فقد كان «محبًا للعمل وأهله » [١] ، آخذًا بخظُ وافر من علم الفلك، وله باع فى خطّ التقاويم الحسنة والجداول الصحيحة، وصناعة الآلات العجيبة .[٢]

وقد اهتم أيضًا السلطان يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف ت ٧٥٥ هـ ببناء المدارس العلمية لخدمة الحياة العلمية والقيام على رعاية العلم وأهله، فقد بُنيت فى عهده المدرسة العجيبة التى يعدها الناس بِكْر المدارس .[٣]

---

(١) الإحاطة فى أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ٣/ ٣٣٤.

(٢) الدولة النصرية للسان الدين بن الخطيب ص ٥٧.

(٣) الدولة النصرية للسان الدين بن الخطيب ص ٩٦.

ومن الاهتمام بالناحية العلمية أيضًا أن السلطان محمد بن يوسف بن نصر ت ٧٠١ هـ كان يُؤْثر العلماء على شتى مناحى تخصصاتهم من الأطباء والمنجمين والحكماء والكتاب والشعراء . (١)

وكان السلطان محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر ت ٧١٠ هـ يصغى للشعر ويثيب عليه الشعراء، وكان يعرف مقادير العلماء. (٢) وكذلك السلطان أبو الحجاج يوسف الأول بن أبى الوليد إسماعيل ، الذى كان من أبرع ملوك الدولة النصرية ، كان بعيد الهمة عالى الخلال، شاعرًا عالمًا ، وحاميًا للعلوم والفنون . (٣)

كما كان العلماء يحتلون مكانة عظيمة يحظون بها عند أمير المسلمين بالأندلس ، فقد كان الفقيه الجليل أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن ت ٦٩٩ هـ يحتل حظوة لطيفة عند أمير المسلمين . (٤)

وكذلك اهتم أصحاب الأموال المترفين بالعلم والعلماء ، فبنى محمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصارى ت ٧٥٤ هـ ، مدرسة عظيمة غرب المسجد الأعظم ووقف عليها الرياع، وابتنى غيرها من المساجد. (٥)

طائفة من العلماء :

كان القرن الثامن الذى عاش فى النصف الأول منه القاضى محمد بن يحيى فى الأندلس وخاصة غرناطة بالنسبة لدولة التفكير والأدب عصر

---

(١) الإحاطة فى أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ١/ ٥٥٧.

(٢) الإحاطة فى أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ١/ ٥٤٥.

(٣) نهاية الأندلس للدكتور محمد عبدالله عنان ص ١٢٥.

(٤) الإحاطة فى أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ١ / ١٦٤.

(٥) الإحاطة فى أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ٣/ ١٩١.

النضج والازدهار ، وفيه ظهرت طائفة من أكابر المفكرين والشعراء الذين أعادوا روعة الأدب الأندلسى فى أعظم صوره . [١]

إن الاهتمام بالعلم فى هذا العصر كان أمرًا ملموسًا ، وكان انتشار العلوم بأنواعها يحتل مكانة مرموقة فى بلاد الأندلس ، فكان العصر عصر رواج للعلوم الدينية واللغوية والعقلية ، والحركة العلمية نشطة ، وفى ظل هذا النشاط ترعرع العلم ووجد طائفة من جهابذة العلماء امتلأت بأخبارهم ومآثرهم المصادر والمراجع الأندلسية.

ففى اللغة والشريعة والأدب مثل : أبى عبد الله الفخار ، شيخ النحاة فى عصره، وأبى القاسم محمد بن على الحسينى ، والمحدث شمس الدين بن جابر الوادى آشى . وأبى عبد الله بن مرزوق ، والقاضى أبى البركات بن الحاج البلفيقى.

وكذلك فى الأدب والشعر أبى عبد الله بن الحكيم اللخمى، وأبى الحسن بن الجياب. وفى الطب والفلسفة حكيم العصر الشيخ أبو زكريا يحيى بن هذيل. وفى التاريخ لسان الدين بن الخطيب وغيرهم كثير، ومن بين هؤلاء العلماء القاضى محمد بن يحيى المالقى صاحب هذه الدراسة، الذى استفاد من العلماء وتكونت شخصيته العلمية، التى جعلته يحتل مكانة رفيعة بين أقرانه من العلماء، وأصبح عارفًا بالأحكام والقراءات والحديث والأنساب والعربية واللغة والعروض والفرائض والحساب . [٢] لقد ازدهرت العلوم الشرعية واللغوية والعقلية فى عصر القاضى محمد بن يحيى المالقى ببلاد الأندلس، مما كان لها أكبر الأثر

---

(١) انظر مقدمة محقق الإحاطة فى أخبار غرناطة للدكتور محمد عبد الله عنان ١ / ١٧.

(٢) الإحاطة فى أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ٢ / ١٧٦ .

فى حياته العلمية، وقد شارك فيها وأسهم بنصيب كبير بمجالسه العلمية فى علوم مختلفة، وبتأليفه كتاب مقتل الشهيد عثمان .

من مؤلفات العصر :

لقد أضاف علماء القرن الثامن الهجرى إلى المكتبة الدينية واللغوية والعلمية كمًّا هائلاً من الكتب القيمة التى تخدم الإنسانية فى شتى مناحى الحياة وإذا أردنا حصر هذه المؤلفات فإن الوقت لا يتسع لذلك، ولكننا نكتفى بذكر بعض منها كدليل على مدى ثراء ذلك العصر بالمصنفات، مثل : كتاب « الحلية فى ذكر البسملة والقصلية» وكتاب «وصف المبانى فى حروف المعانى » وكلاهما لأحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد من أهل مالقة ت ٧٠٢ هـ . (١) وكتاب « مطلع الأنوار الإلهية » وكتاب « بغية المستفيد » وكتاب «شرح القرشى فى العرائض» وهو لا نظير له ، وذلك لابن صفوان أحمد بن إبراهيم بن أحمد من أهل مالقة ت ٧٦٣ هـ . (٢) وكتاب «الإفصاح فيمن عُرف بالأندلس بالصلاح» وكتاب « حركة الدخولية فى المسألة المالقية » و « تاريخ المريّة» وكتاب « المؤتمن على أنباء أبناء الزمن» وكتاب « شبهات إصلاح العلوم» وكلها لمحمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد المكنى بأبى عيشون . (٣) وكتاب « الغرر فى تكميل الطُّرر» طرر أبى إبراهيم الأعرج، ثم «الدرر فى اختصار الطرر» المذكور، وكلاهما لمحمد بن عبد الرحمن بن سعد التميمى التَّسكلى عاش فى القرن الثامن الهجرى . (٤) وكتاب «اللمع

---

(١) الإحاطة فى أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ١/١٩٨ . .

(٢) الإحاطة فى أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ١ / ٢٢٣ .

(٣) المصدر السابق ٢/١٤٨ .

(٤) المصدر السابق ٣/ ١٣٢ .

الجدلية فى كيفية التحدث فى علم العربية » وكتاب «بغية المباحث فى معرفة مقدمات المواريث » لعثمان بن يحيى بن محمد القيسى ت ٧٣٥ هـ . [١] وكتاب « التجر الربيح فى شرح الجامع الصحيح » وكتاب «بهجة الأنوار» وكتاب «الأسرار» وكتاب « إرشاد السائل لنهج الوسائل» وكتاب « بغية السالك فى أشرف المسالك» وكتاب « أشعة الأنوار فى الكشف عن ثمرات الأذكار» وكتاب « غرائب النُّجب فى رغائب الشُّعب» وكتاب « نظم سلك الجواهر فى جيد معارف الصدور والأكابر» كلها لمحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصارى ت ٧٥٤ هـ . [٢] وكتاب « شرح التيسير فى القراءات» لعبد الواحد بن محمد بن على بن أبى السّداد الأموى المالقى ت ٧٠٥ هـ . [٣] وكتاب « الروض المنظور فى أوصاف بنى منظور » ، وكتاب « نفحات السلوك وعيون التبر المسبوك فى أشعار الخلفاء والوزراء والملوك » ، وكتاب «السجم الواكفة والظلال الوارفة فى الرد على ما تضمّنه المظنون به من اعتقادات الفلاسفة»، وكتاب «البرهان والدليل فى خواص سُور التنزيل». كلها للقاضى أبى بكر محمد بن عبيد الله بن منظور القيسى ت ٧٥٠ هـ[٤]. ولقد أثرى المكتبة الأندلسية عالم من علماء الأندلس خلال القرن الثامن الهجرى وهو لسان الدين بن الخطيب حيث صنف مجموعة الكتب التاريخية التى لا غنى عنها لأى باحث فى تاريخ الأندلس.

ومن بين هذه المؤلفات القيّمة كتاب « الإحاطة فى أخبار غرناطة»

---

(١) المصدر السابق ٤/ ٨٧ .

(٢) المصدر السابق ٣/ ١٩٣ .

(٣) المصدر السابق ٣/ ٥٥٤ .

(٤) تاريخ قضاة الأندلس للنباهى ص ١٩٢ .

وكتاب « المحلى فى مساجلة القدح المعلى » يحتوى على مختصر لتاريخ مملكة غرناطة ، وكتاب « الكتيبة الكامنة فى أهل المائة الثامنة» ، وكتاب « اللمحة البدرية فى الدولة النصرية» وكتاب «رقم الحلل فى نظم الدول» وكتاب « نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب» وكتاب « أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام» ، وكتاب « طرفة العصر فى تاريخ دولة بنى نصر » ، وكتاب « الإكليل الزاهر فيمن فصل عند نظم التاج من الجواهر» ، وكتاب «عائد الصلة» . (١)

من علوم العصر :

لقد كان للعلوم اللغوية والشرعية والعقلية وجود فى بلاد الأندلس خلال القرن الثامن الهجرى، وجود لاينكر، اشتغل بها علماء كثيرون لهم الفضل على من جاءوا بعدهم.

علم القراءة :

نال هذا العلم أهمية بالغة واشتغل به علماء كبار انتشروا خلال القرن الثامن الهجرى وما قبله فى جميع أرجاء الأندلس ، من بين هؤلاء العلماء ، عبد الواحد بن محمد بن على بن أبى السداد المالقى ت ٧٠٥ هـ ، حيث كان إماماً فى القراءات حائزاً خصل السباق إتقاءً وأداءً ومعرفة ورواية وتحقيقا. (٢) شرح كتاب « التيسير» شرحًا حسنًا أفاد فيه وأجاد . (٣) وكذلك عثمان بن يحيى بن محمد بن منظور ت ٧٣٥ هـ، الذى شارك فى القراءات وبرز فيها . (٤)

---

(١) مقدمة محقق كتاب الإحاطة للدكتور محمد عبدالله عنان ١ / ٥٤ ـ ٥٨ .

(٢) الإحاطة فى أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ٣/ ٥٥٣ .

(٣) طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ٤٧٧ .

(٤) الإحاطة فى أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ٤ / ٨٦.

علم التفسير :

لا يقل علم التفسير فى مكانته عن علم القراءات، فلقد حظي بمكانة عاليـة لارتباطة بـكتاب الله عز وجـل ، حيث قام بـأمره والاهتمـام به كوكبة من علماء المسلمين ، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر العالم الحسين بن عبـد العزيز بن محمـد بن أبـى الأحـوص القـرشى الفهـرى ت ٦٩٩ هـ . وقد أخذ من كل علم سنّى بـحظ وافر، فكان حافظًا فى التفسير ، مكبًا على استفادته وإفادته . (١)

علم الفقــه :

حظى علم الفـقه باهتمـام، واشتـغل به علماء أجلاء فـى شتى بلاد الأندلس ، من بينهم الشيخ الفـقيه المتكلم أبو عـبد الله محمد بـن عبد الرحمن بن سعد التيمى الـنسلى، ينقل الفقه منسوبًا إلى أمانة ، ومنوطاً برجـاله، جلس بمسجـد غرناطـة الجامع وطال قـعوده يسـرد الفقـه (٢) وكذلك أحمـد بن محمد بن أحـمد بن سعدة العـامرى ت ٦٩٩ هـ ، وكان صدرًا جليلا فـقيهًا مضطلعًا من أهل النظر الـسديد والبحث، قرأ الفقـه واستظهـر كتـاب التلقين، ودرس الأحكام الجيـدة وعرضـها فى مجلس واحد، وقرأ أصول الفقه، وشرح المستصفى شرحًا حسنًا ، وقرأ الإرشاد والهداية . (٣)

علم الحـديث :

نظرًا لأهميتـه عند المفسر والفقيـه فقد نال أهمية كبـيرة بين العلماء، وبرز فيه علمـاء كثيرون منهم المؤلف القاضى محـمد بن يحيى المالقى،

---

(١) المصدر السابق ١/ ٤٦٤ .

(٢) المصدر السابق ٣/ ١٣٠ ـ ١٣١ .

(٣) المصدر السابق ١/ ١٦٤ .

فقد كان مبرزًا فى الحديث تاريخًا وإسنادًا وتعديلاً وتجريحًا ، وعقد مجالس الحديث شرحًا وسماعًا على سبيلٍ من انشراح الصدر . [١]

وكذلك الشيخ الفقيه محمد بن عبد الرحمن بن سعد التيمى نزيل «مالقة» كان ينقل الحديث بأسانيده ومتونه، وروى الحديث « بسبتة » «ومالقة» و«غرناطة» و«بلّش» ، وقد لخّص التهذيب لابن بشير، وحذف أسانيد البخارى والترمذى ومسلم، والتزم إسقاط التكرار، واستدراك الصحاح الواقعة فى التهذيب على مسلم والبخارى . [٢]

علم العربية :

ارتقى الاهتمام بهذا العلم وانتشر عدد كبير من علمائه، فمنهم أحمد بن عبد الحقّ بن محمد بن يحيى، من أهل «مالقة» ت ٦٩٨هـ ، من صدور أهل العلم والتفنين مضطلع بصناعة العربية، حائز السبق فيها ، عارف بالفروع والأحكام والأدب، قائم على القراءة، إمام فى الوثيقة، حسن الخط . [٣]

وكذلك أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد من أهل « مالقة» ت ٧٠٢ هـ كان قيّمًا على العربية ، إذ كانت جلّ بضاعته، يشارك مع ذلك عروض الشعر وقرض الشعر، وكان له اعتناء بفك المعمّى والتنقير عن اللغوز . [٤]

وكذلك عبد الواحد بن محمد بن على الباهلى ت ٧٠٥ هـ ، كان منقطع القرين فى الدين المتين والصلاح وسكون النفس وطيب القراءات،

---

(١) الإحاطة فى أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ٢/ ١٧٦ ـ ١٧٧ .

(٢) المصدر السابق ٣/ ١٣٠ ، ١٣٢ .

(٣) المصدر السابق ١/ ١٨٠ .

(٤) المصدر السابق ١/ ١٩٧ .

ماهرًا فى صناعة النحو، حسن التعليم ، مستمر القراءة .[١] وقد شارك القاضى محمد بن يحيى فى هذا العلم فكان قائمًا على العربية مشاركًا فى الأصول والفروع واللغة والعروض . [٢]

علم التاريخ :

وقد اشتهر فيه علماء كبار أثروا المكتبة العلمية بمصنفاتهم، نذكر منهم على سبيل المثال : لسان الدين بن الخطيب وقد سبق أن ذكرنا جانبا من مؤلفاته . وكذلك أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن سعدة ت ٦٩٩ هـ الذى ألف تاريخ قومه وقرابته.[٣]

وكذلك المؤلف القاضى محمد بن يحيى يُعدّ من الذين شاركوا فى علم التاريخ فكتب لنا الكتاب الذى نحن بصدد تحقيقه وعمل الدراسة عنه ، فقد كان حافظًا للأنساب والأسماء ، والكنى وكان من صدور العلماء ، وأعلام الفضلاء . [٤]

علم الحساب والهيئة :

كان لهذا العلم كغيره من العلوم وجود فى عصر القاضى محمد بن يحيى المالقى، وقد لمع فيه علماء كثيرون ، كان لهم أكبر الأثر فى إثراء المكتبة الأندلسية والعلمية ، منهم : أبو على حسن بن محمد بن باصة ت ٧١٦ هـ . وكان إمامًا فى علم الحساب والهيئة . [٥]

وكذلك القاضى محمد بن يحيى قد شارك فى هذا العلم بنصيب واضح ، فأقرأ علم الفرائض والحساب . [٦]

---

(١) الإحاطة فى أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ٣/ ٥٥٣ .
(٢) المصدر السابق ٢/ ١٧٦ .
(٣) المصدر السابق ١/ ١٦٤ .
(٤) المصدر السابق ٢/ ١٧٦ .
(٥) المصدر السابق ١/ ٤٦٨ .
(٦) الإحاطة فى أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ٢/ ١٧٧ .

علم الطب :

نَال هذا العلم شهـرة عظيمـة فى عصر القـاضى محمـد بن يحيى، وحمل لواءه عدد من الأطباء الكبار. فمنهم : أبو على حسن بن محمد بن حسـن القيسـى المالقى ت بعد ٧٥٢ هـ، كـان بقيـة شيـوخ الأطباء ببلده، حافظًا للمسائل الطبية ذاكرًا للدواء، فسيح التجربة، وحاول عمل الترياق الفارق، مبرزًا فى اختيار أجزائه، وإحكام تركيبه .(١)

وكذلك محمـد بن قاسم بن أبى بكر القرشى المالقى ٧٥٧ هـ ارتسم «بالعدوة» طبيبًا وتولى النظر على المارستان بفاس .(٢)

وكذلك عـثمان بن يحيى بن مـحمد بن منظور القـيسى ت ٧٣٥ هـ فـقد كـان صـدرًا فى علماء بلده، أسـتـاذًا من أهل النظر والاجـتهـاد والتحقيق ، ثاقب الذهن، برز فى الطب والمنطق وغير ذلك .(٣)

وكـذلك أبو تمام غالب بن على بـن محـمد اللخـمى ت ٧٤١ هـ، وكان من أهل الفضل، قرأ الطب بالمارسـتان من القاهرة المعذية، وحذق العلاج على طريقة المشارقة .(٤)

الموسوعة فى العلم :

كثير من العلمـاء خلال القرن الثامن الهجرى العصـر الذى عاش فيه القاضى مـحمـد بن يحيى لم يكتـفوا بعلم واحد أو اثـنين ، بل حازوا شرفاً كـثيراً من العلوم والفنون ،مـثل : ابن جزىّ أحمد بن مـحمد بن

---

(١) المصدر السابق ١/ ٤٦٧ ، ٤٦٨.
(٢) المصدر السابق ٢/ ٥١٥.
(٣) المصدر السابق ٤/ ٨٦.
(٤) المصدر السابق ٤/ ٢٤٠.

أحمد بن جـزى الكلبى ت ٧١٥ هـ ، كان له مشاركـة حسنة فى فنون متنوعة من فقـه وعربية وأدب، وحفظ وشعر تسـمو ببعض الإجادة إلى غاية بعيدة .[١]

وكذلك أحمد بن محمد بن أحـمد بن سعدة العامرى ت ٦٩٩ هـ ، كان مشـاركًا فى كثير من الفنـون ، جزلاً مهمًا ريّان من العـربية، وقرأ الفقه وأصـوله، وكان صدرًا فى الفرائض والحـساب، وألفّ فى التاريخ كتابًا عن تاريخ قومه [٢] .

وكذلك أحمد بن عبد الحق بن محمد بن يحيى الجزلىّ ت ٧٦٥ هـ، كـان من صدور أهل العلم والتـفنن مـضطلع بصناعـة العربيـة، عارفًـا بالفـروع والأحكام، والطب والأدب ، قـائم على العـربية والقـراءة ، حسن الحظ . [٣]

وكذلك أحمد بن إبراهيم بن أحـمد بن صفوان المالقى ت ٧٦٣ هـ، بقـية الأعـلام أديب من الأدباء ، ناظم ناثر عـارف ثاقب الذهن، إمـام الفرائض والحساب، والأدب والتوثيق، ذاكـر للتاريخ واللغة، شارك فى الفلسفة والتصوف ، كلف بالعلوم الإلهية . [٤]

وكذلك الحسين بن عـبد العزيز بن محمـد بن أبى الأحوص القرشى ت ٦٩٩ هـ. كان متفننًا فى عـدة معارف، أخذ من كل علمٍ سنّى بحظٍ وافر، حافظًا للحديث والتفسـير، ذاكرًا للأدب واللغة والتواريخ، شديد العناية بالعلم، حسن اللقـاء لطلبة العلم .[٥] ويعدّ القاضى مـحمد بن

---

(١) الإحاطة فى أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ١/ ١٥٧ ، ١٥٨ .
(٢) المصدر السابق ١ / ١٦٤ .
(٣) المصدر السابق ١/ ١٨٠ .
(٤) المصدر السابق ١/ ٢٢٢ .
(٥) المصدر السابق ١/ ٤٦٤ .

يحيى المالقى صـاحب هذه الدراسة من الموسوعـيين أيضًا فقـد كان من صدور العلماء عارفًا بالأحكام والقـراءات عارفًا بالحديث تاريخًا وإسنادًا وجرحًا وتعديلاً ، حافظًا للأنساب والكنى، قائمًا على العربية، مشاركًا فى الأصول والفروع واللغة والعروض والفرائض والحساب . [1]

(١) المصدر السابق ٢/ ١٧٦ .

obeikandl.com